# الكلمة الأخيرة

# بهاء كان بهاء بيير ويستنير

## بقلم : د . ابراهيم حلمى عبد الرحمن

كانت كتابات أحمد بهاء الدين المبكرة يغلب عليها طابع النقد الفنى ولو أنه فيما بعد برز فى مقدمة المحنين السياسيين ولعل الجانب الفنى فى حياته – وليس فقط فى كتاباته – لم يظهر بوضوح فى كثير مما نشرته أخيرا الصحف عنه بعد وفاته، وعندما دخلت منزله لأول مرة بهرتنى الأناقة الفنية الرائعة التى لا شك قد اشتركت فى تحقيقها السيدة الفاضلة زوجه ولكنه كان هو أيضا يشرح لى الجوانب الفنية فى اللوحات والأثاث والألوان والإضاءة . عندئذ تذكرت أنه ربما كان بطبيعته مهيأ للفن والنقد الفنى ولكن جرفته السياسة فكان شهابا لامعا فى سمائها الداكنة وبحورها المظلمة وكثيرا ما كنت أقرأ بعض كتاباته – خاصة يومياته القصيرة – وأعيد قراءتها دون ملل فكانت تبدو لى أنها أشبه شئ بلوحة فنية وليست كلمات مسطورة ، وأفكاراً معروضة بدقة وسلاسة ووضوح وشمول .

وفى مجال السياسة والأحداث كان بهاء يصل دائما بسرعة إلى لب الموضوع تاركا جانبا التفاصيل وقلما اختلفت معه فى رأى إلا بشأن إتفاقية كامب دافيد التى ناصرت ما ذهب إليه السادات وعارضه هو معارضة شديدة وربما كان قد تأثر . رحمه الله فى ذلك بالآراء السائدة فى الأوساط العربية الشقيقة التى كان يعيش فى وسطها

وأذكر أنه بعد وفاة عبد الناصر نشأت مقترحات مختلفة بشأن تخليد ذكراه فى صورة مؤسسة علمية قومية وأبديت له إستعدادى للمشاركة فيها ولكن لم تنشأ – كما أذكر أنه عندما تولى رئاسة تحرير الأهرام كان يعنى عناية كبيرة بمركز الدراسات الناشئ حينئذ وكاد يعرض على رئاسته ولكن الله سلم .

وفى فترة إقامته – أو هجرته – إلى الكويت كانت لى معه جلسات طويلة اشترك فى الكثير منها الدكتور صائب جارودى وكان الحديث يدور حول جوانب مختلفة من قضية القومية العربية التى كان يعنى بها دائما عناية فائقة ، بينما كنت ولازلت أميل إلى اسقاط هذه القضية على خلفية التطورات الدولية بما يظهرها فى حجم محدود بعد استبعاد العاطفة الجياشة والخيال الواسع والآمال العريضة .

وكان بهاء على الرغم من صلته الوثيقة بالرؤساء وكبار القوم ، يحتفظ دائما بذاتيته الفكرية وقناعته الخاصة فى مختلف المواقف .

وحينما ذكر لى ذات يوم أنه أحيانا يفقد القدرة على الاتزان فيسرع إلى الارتكاز لأقرب سند ثم يزول العارض بعد ثوان قليلة ، علمت من الأطباء أن تلك ظاهرة تكشف عن بؤرة معيبة فى المخ ، فكان ، ذلك أول إشارة لما حدث له فيما بعد ولكننى كنت بعد ذلك ودائما أخشى عليه من الإنفعال وخاصة الإنفعال الصامت الذى تتولد عنه الضغوط الداخلية المكبوتة .

وفى آخر لقاء معه – بعد أن كان قد استشرى به الداء كنت فى زيارة له مع الزميل الدكتور إبراهيم سعد الدين وكان صامتا طول الوقت وحينما نبهته زوجته إلى وجودى أمامه قال على الفور «هذا ليس إبراهيم حلمى – أين هو» حينئذ أيقنت والأمر لله من قبل ومن بعد «هذا ليس أحمد بهاء الدين» الذى فقدناه ، إفتقدناه .

إن كان لى أن أصف أحمد بهاء الدين فى كلمات لقلت أنه كان (بهاء) حقا بنير ويستنير ويدرس ويحلل ويرسم صوراً بالكلمات يقرأها الناس مرة بعد مرة دون ملل كأنها كما قلت فى أول هذه النبذة – صورة فنية رائعة وتحفة أدبية قيمة تبقى على الدهر فسبحان من له الدوام .